Proceedings of the 1st International Conference on Science and Islamic Studies
ISSN: 3024-9058 (media online)
Volume: 1, 2023
Publisher: Universitas Islam Negeri Alauddin Makassar

أساليب الاستفهام في القرآن الكريم: دراسة بلاغية تحليلية للجزء الثلاثين

Muhammad Naili[1]

[1]Universitas Islam Negeri Alauddin Makassar

Correspondence Email: muhammad.naili1994@gmail.com

ABSTRACT

This research aims to analyze the various styles of questioning (أساليب الاستفهام) found in the Quran, specifically in the thirtieth juz, using a qualitative-descriptive approach based on the Ilm Al-Balaghah. The data collection method employed is documentation, involving the gathering of relevant literary sources pertaining to the research topic. The collected data will be qualitatively analyzed through content analysis. The research findings reveal that there are 22 surahs in the thirtieth juz that contain diverse types of questioning styles, including استفهام تفخيم الشأن (questioning for emphasis), استفهام تقرير وامتنان (questioning for reporting and gratitude), استفهام الإنكار والتهكم (questioning for denial and ridicule), استفهام الإنكار والاستبعاد (questioning for negation and exclusion), استفهام التشويق (questioning for intrigue), استفهام الإنكار (questioning with an element of persuasion), استفهام العرض مشوباً بالترغيب والتقرير (questioning for denial and affirmation), استفهام الإنكار والتعنت (questioning for denial and stubbornness), استفهام النفى (questioning for negation), and استفهام تعجب (questioning for wonderment). This research contributes to a deeper understanding of the usage of questioning styles (أساليب الاستفهام) in the Quran, particularly within the thirtieth juz. The anticipated outcomes of this study are expected to provide new insights in the field of rhetoric and enrich the literature on the linguistic styles employed in the Quran.

Keywords: Styles of questioning; ilm al-balaghah; Quran

المقدمة

القرآن الكريم كتاب الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كتاب أنزل الله على خاتم النبيين، وهو كتاب لا تنقضى عجائبه بمرور الأزمان وهو صالح لكل زمان ومكان. فالقرآن كما وصفه العلماء هو كتاب الله المعجز المنزل على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي، المكتوب فى المصاحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.[1] فهو الكتاب المعجز بعد

[1] وهبة بن مصطفى الزحيلى الدمشقي، *التفسير المنير* (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1411هـ/1991م ج1)، ص. 13.

Copyright © 2023: The Author(s)

التحدّى وطلب المعارضة، تحدى العرب على أن يأتوا بمثله، لكنهم وجدوا أنفسهم عاجزين عن فعل ذلك كما حدث مع أبى الوليد فى قصته المشهورة.[2]

البلاغة عند أهل اللغة هي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد، فتقول لغة: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا إذا وصل وانتهى إلى غايته، وتقول: أبلغت الشيء إبلاغا وبلاغا وبلغته تبليغا إذا أوصلته إلى غايته ونهايته.[3] إن علم البلاغة يحتل من العلوم العربية محل اليتيمة من قلائد العقيان، ومحل الرأس من بدن الإنسان، لأنه يوصل المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، ويؤثر على وجدانه فينفعل، بحيث لا مزيد على الحاجة ولا إخلال يفضى إلى الفاقة به يمتاز السمين عن غث الكلام ويؤثر خطيب على الأنام وعليه يعتمد فى تفضيل شاعر على مثيله، والحكم لأديب على نظيره فهو حلية الكلام وزمامه إلى المرام وهو جنة المعادى وسهم الأديب إلى الأعادى.[4] ولهذا تشعبت فروعه وتفتحت أزهاره بضوء القرآن الكريم العامل الأساسي فى نشأته والباعث القوي على تطوره فلا غرو أن اهتم به العلماء منذ سطوع فجره تأليفا وتدريسا واعتنى به الفضلاء تقليدا وتكريرا.[5]

إن علم البلاغة اكتسب الجمال بحسن الأعضاء واعتدالها وبتناسب الأطراف، واكتمالها، فالكلام عن ميزات جانب منه صريحا ينبئ عن ميزات جوانب أخرى ضمنا، والجانب الذى أسرى النظر، وقيد الفكر وخلب القلب هو: أسلوب الاستفهام والذى يعد من أدق مباحث الإنشاء وأجملها ومن أغزر قوالب المعنى وألطفها يجمع بين لين اللفظ، واستعلاء الطلب، وربت أدواته على العقد فى كلام العرب، والبلاغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع. فأما علم المعاني: فهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التى بها يطابق مقتضى الحال.[6] وأما علم البيان: فهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه.[7] أما علم البديع: فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وروح الدلالة.[8]

الاستفهام لغة الهمزة والسين والتاء إذا زيدت في الفعل الثلاثي، أفادت معنى الطلب، يقال: استزاد أي: طلب الزيادة، واستغفر: طلب المغفرة، واستفهم: طلب الفهم، فالاستفهام معناه طلب الفهم. واصطلاحا هو: طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأدوات خاصة.[9] تنقسم أدوات الاستفهام بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام وهي ما يطلب به التصور والتصديق وهوالهمزة ثم مايطلب به التصديق وهو هل ثم ما يطلب به التصور فقط وهو بقية أدوات الاستفهام، وهي الهمزة[10] هل من ما متى ايان أين كيف أنى كم أي.[11] يفيد الاستفهام كثيرا

---

[2] الخطابي، *ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن* (مصر: دار المعارف، ط3، 1976م)، ص. 123-124.

[3] عبد الرحمن حسن جبنكة الميداني، *البلاغة العربية علومها أسسها وفنونها* (دمشق: دار القلم ط1، 1416هـ/1996م)، ص. 128.

[4] جار الله محمود بن عمر الزمخشرى، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل* (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1430هـ-2009م) ص86

[5] السيد أحمد الهاشمى، *جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع* (بيروت: المكتبة العصرية، 1999)، ص. 40.

[6] الخطيب القزوينى محمد بن عبد الرحمن جلال الدين، *الإيضاح فى علوم البلاغة* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ/2003م)، ص23.

[7] الخطيب القزوينى، *الإيضاح فى علوم البلاغة*، 163.

[8] الخطيب القزوينى، *الإيضاح فى علوم البلاغة*، 255.

[9] بيسونى عبد الفتاح فيود، *علم المعانى* (مؤسسة المختار-القاهرة ط4، 1436هـ-1998م)، 379.

[10] سيبويه، الكتاب، ج3، ص 183

[11] محمد شعبان علوان، *نعمات شعبان علوان: من بلاغة القرآن* (الدار العربية، 1998م)، ص. 51.

من المعاني البلاغية، كالإنكار[12] والتعجب والاستبعاد والتهديد والاحقير ونـحو ذلك، وكثير من البلاغيين وبخاصة المتأخرين منهم يطلقون على هذه المعاني: المعاني المجازية للاستفهام" ونـحن لا نوافقهم على هذه التسمية، ولا نرتضي هذا الإطلاق،[13] ولا نقر أن تلك المعاني البلاغية التي يفيدها الاستفهام معان مجازية.[14] لا يخفى علينا بأن المعنى الأصلي للاستفهام وهو طلب الفهم من المخاطب و إثارة تحريك ذهنه يظل باقيا عند إفادة الاستفهام لتلك المعاني البلاغية ومزية أداء هذه المعاني بطريقة الاستفهام.[15] إلا أن أدوات الاستفهام خرجت عن معانيها الأصلية إلى معاني أخرى على سبيل المجاز من سياق الكلام وقرائن الأحوال ومن هذه المعاني الأخرى الزائدة التي تحتملها ألفاظ الاستفهام وتستفاد من سياق الكلام فتمثل أغراضها فهي: الاستبطاء[16] والاستبعاد والحسر والتعجب والتنبيه إلى ضلال[17] والتهويل والوعيد والهديد والأمروالحث على الفعل والتقرير[18] والإنكار[19] والنفي والتشويق.[20] لأسلوب الاستفهام أهمية بالغة في اللغة العربية يمكن أهميته في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر، ووظيفته التبليغية والحاجية، وإذا معلوما أن التواصل لايتم إلا استنادا إلى تخاطب فإن الاستفهام أبرز أدوات التخاطب لأنه يجسد دور التخاطب حيث يتوافر على مرسل ومرسل إليه والرسالة.

المفهوم بدراسة بلاغية عند الباحث هي إقامة الباحث بتحليل أساليب الاستفهام في القرآن من الناحية البلاغية إما أن يكون من معانيها وأغراضها وأسرارها وإما أن يكون من دراستها وتحليلها، فالمعنى (*دراسة*) هو عملية التحليل والتأصيل اللغوي، ولكي يتوافق المراد هنا مع المفهوم المعجمي في العربية، فيلزم تتبع لفظ الدراسة لدى جهابذة اللغة وأساطينها؛ فلفظ (دراسة) عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 ه)، مصدر من فعل درس أي دَرْسُ الكتاب للحفظ.[21] بينما لاحظ الزمخشريّ (ت 538) وقد زاد للكلمة وضوحا فقال: درسَ الكتابَ للحفظ : أي كرّر قراءته درسا ودراسة، درّس غيره ودارسْتُه الكتاب مُدارسة، وتدارسوه حتى حفظوه.[22]

تناول الكثيرون ممن كتبوا فى النحو أو البلاغة أسلوب الاستفهام بالدراسة التحليلية، بل هناك منهم من أفرد له مبحثا خاصا به فى كتابه كما فعل إسماعيل قيس الأوسى فى كتابه (أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين)، ومنهم كذلك من ألف كتابا حول هذا الأسلوب كما فعل قطبى الطاهر الذى ألف سلسلة أجزاء بعنوان: (بحوث فى اللغة) تناول فى الجزء الأول: الاستفهام النحوى، وفى الجزء الثانى: الاستفهام البلاغى،

---

[12] محمود عبد الكريم يوسف، *أسلوب الاستفهام فى القرآن الكريم غرضه وإعرابه* (طبع فى مطبعة الشام توزيع مكتبة الغزالى، ط1، 1421هـ-2000م)، ص. 152.

[13] عبد العظيم ابراهيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم : ج4* (مكتبة وهبة القاهرة، 1432هـ-2011م)، ص. 275.

[14] بيسونى عبد الفتاح فيود، *علم المعانى*. ص. 393.

[15] عبدالفتاح لاشين، *المعاني فى ضوء أساليب القرآن* (دار الفكر العربي جامعة الأز هار القاهرة 1420هـ-2000 م)، ص. 133.

[16] بيسونى عبد الفتاح فيود، *علم المعانى*. ص. 396-397.

[17] بيسونى عبد الفتاح فيود، *علم المعانى*. ص. 400.

[18] بيسونى عبد الفتاح فيود، *علم المعانى*. ص. 401-402.

[19] بيسونى عبد الفتاح فيود، علم المعانى، *مؤسسة المختار-القاهرة ط4* (1436هـ-1998م)، ص. 404-405.

[20] بيسونى عبد الفتاح فيود، *علم المعانى*. ص. 407-408.

[21] خليل بن أحمد الفراهيدي، *كتاب العين مرتبا على حروف المعجم* (بيروت: دار الكتب العلمية، ج 2، 1434 هـ/ 2003 م)، ص. 20.

[22] جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، *أساس البلاغة بين المعاجم* (بيروت: دار المعرفة)، ص. 128.

وفى الجزء الثالث: الاستفهام بين النحو والبلاغة. كما ألفت حول أسلوب الاستفهام رسائل ماجستير ودكتوراه ومن هذه الرسائل: 1) محمد نور محمود محمد عبد الله، *الأسلوب الاستفهامي ودلالته فى سورة البقرة* (*دراسة بلاغية تطبيقية*). وهي بحث تكميلى مقدم لنيل درجة الماجستير بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا كلية الدراسة العليا كلية اللغات، في العام 1439ه- 2018 م. 2) أقصى محمد نووى، *أغراض الاستفهام ب "هل" فى الذكر الحكيم* (*دراسة تحليلية بلاغية*)، وهي رسالة الماجستير قدم للحصول على درجة الماجستير فى قسم اللغة العربية وآدابها جامعة علاء الدين بمكاسر 2019 م. 3) إبراهيم طبشى، *أسلوب الاستفهام فى رياض الصالحين* (*دراسة بلاغية*)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في كلية الآداب واللغات قسم الأدب العربي، جامعة مولود المعمرى - تيزي وزو الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2012 م. وأما هذا البحث فمن خصائصه تناول هذ الأسلوب الاستفهامي من الناحية البلاغية، حيث أن هذا البحث يحلل أسلوب الاستفهام ضمن حقل الدراسات القرآنية فى الجزء التاسع و العشرين والجزء الثلاثين (دراسة بلاغية).

والغاية الثانية خلف اختيارى لاقتحام هذا الصور المنيع المتباعد الأركان والمتارمى الأطراف الكشف عن جمالية أسلوب القرآن وتعدد مضامينه وصيغه مع اختلاف متلقيه. من هذ المنطلق راودتنى مجموعة من الأسئلة الإشكالية: 1) كيف كانت أغراض أسلوب الاستفهام فى الجزء التاسع والعشرين والثلاثين؟. 2) كيف كانت دراسة وتحليل آيات الأساليب الاستفهامية البلاغية فى الجزء التاسع والعشرين والثلاثين؟ 3) ما هي أسرار آيات الأسلوب الاستفهامية البلاغية فى الجزء التاسع والعشرين والثلاثين؟.

منهجية البحث

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف وتحليل استخدام أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم في الجزء الثلاثين من منظور علم البلاغة. والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو الوصفي النوعي، الذي سيتيح للباحث وصف وشرح استخدام طريقة الاستفهام في الآيات المدروسة بتفصيل وعمق. وهذه الدراسة تعد من نوع دراسة الأدب، حيث يستند الباحث فيها إلى مصادر الأدب ذات الصلة بالموضوع المدروس.

أما طريقة جمع البيانات التي سيتم استخدامها في هذه الدراسة فهي من خلال الوثائق والمراجع. سيقوم الباحث بجمع مصادر أدبية متعددة تتعلق بطريقة الاستفهام في القرآن الكريم في الجزء الثلاثين، مثل تفاسير القرآن الكريم والكتب النصية والمقالات العلمية وغيرها من المصادر الأدبية ذات الصلة. سيتم تحليل هذه البيانات باستخدام طريقة تحليل المحتوى. سيقوم الباحث بتحديد وتصنيف استخدام طريقة الاستفهام في القرآن الكريم في الجزء الثلاثين، وسيحلل المعاني والتأثيرات التي تنتج عن استخدام طريقة الاستفهام هذه.

في عملية تحليل البيانات، سيقوم الباحث بمقارنة وربط المعلومات المستخلصة من مختلف مصادر الأدب التي تم جمعها. سيتم إجراء التحليل بعناية لاستكشاف فهم أعمق لاستخدام طريقة الاستفهام في القرآن الكريم في الجزء الثلاثين. سيتم تقديم نتائج التحليل بشكل منهجي ومناقشتها في فصل النتائج البحثية. مع ربط هذه النتائج بنظريات علم البلاغة والسياق الديني ذي الصلة.

لتبسيط النقاش، سنقدم الآن توزيع الآيات في الجزء الثلاثين التي تحتوي على طريقة الاستفهام.

رقم	السورة	الآية	معنى الاستفهام
1	النبأ	1	استفهام تفخيم الشأن
		6	استفهام تقرير وامتنان
2	النازعات	10	استفهام الإنكار والتهكم

		11	استفهام الإنكار والاستبعاد
		15	استفهام التشويق
		18	استفهام العرض مشوبا بالترغيب
		27	استفهام الإنكار + التقرير
		42	استفهام الإنكار والتعنت
		43	استفهام النفى
		3	استفهام تعجب
3	عبس	17	استفهام تعجب
		18	استفهام تعجب
4	التكوير	26	استفهام الإنكار التجهيل والتعجيز والتبكيت
		6	إنكار وعتاب وحث
5	الإنفطار	17	استفهام تهويل وتعجب
		18	استفهام التهويل والتعجب
		4	استفهام الحض والحث والتعجب
6	المظففين	8	استفهام التهويل والتفظيع
		19	استفهام التفخيم والتعظيم
		36	استفهام الشمات والتهكم
7	الإنشقاق	20	استفهام إنكارى تقريري
8	البروج	17	استفهام تشويق
9	الطارق	2	استفهام التهويل والتعجب
		5	استفهام التقرير والتذكير والتنبيه للعظة والاعتبار والتعجب
10	الغاشية	1	استفهام التشويق
		17	استفهام الإنكار
11	الفجر	5	استفهام التقرير والتحقيق
		6	استفهام التشويق والتهديد
		23	استفهام الإنكار والتوبيخ
12	البلد	5	استفهام الإنكار والتهويل
		7	استفهام الإنكار والتهويل
		8	استفهام التقرير والامتنان
		12	استفهام التفخيم والتعظيم
13	الضحى	6	استفهام تقرير وامتنان
14	الإنشراح	1	استفهام تقرير وامتنان
15	التين	7	استفهام الإنكار
		8	استفهام التقرير
16	العلق	9	أخبرنى- استحضار صورة المستفهم عنه
		14	أخبرنى- استحضار صورة المستفهم عنه
17	القدر	2	استفهام التفخيم والتعظيم
18	الزلزلة	3	استفهام للإنكار
		2	التهويل والتفظيغ
19	القارعة	3	استفهام النفى والتهويل
		10	استفهام الإنكار والتهويل
20	الهمزة	5	استفهام الإنكار والتهويل
21	الفيل	1	استفهام التقرير
		2	استفهام التقرير التشويق
22	الماعون	1	أخبرنى- استحضار صورة المستفهم عنه

نتائج البحث ومناقشتها

1. سورة النبأ

عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ﴿١﴾ (سورة النبأ: 1). لا خلاف بين الأئمة، أن هذا الاستفهام (عم يتساءلون) استفهام مجازى؛ لصدوره في كلام الله الخالص غير المحكي. أما معناه فيقول فيه الإمام جار الله الزمخشرى: ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال: عن أي شيء يتساءلون. ونحوه (ما) في قولك: زيد ما زيد؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه، فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره. كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد أي شيء هو من الأشياء هذا أصله. ثم جرد العبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية، هذا البيان الرائع، والتحليل البديع، الذي صاغه الإمام جار الله حول هذا الاستفهام، هو بيان أصل الدلالة على تفخيم الشأن كما قال الإمام، وهو غرابة المستفهم عنه وخروجه عن الأجناس المعهودة، ونسبته إلى جنس يسأل عنه لعدم الإحاطة بمعناه. واقتصر الإمام الطاهر على أن المراد من الاستفهام هو التشويق إلى تلقى ما بعده.[23] فالخلاصة أن هذا الاستفهام يكاد يكون قسما بعينه لا للتقرير ولا للإنكار، بل المراد منه الإثارة وتحريك المشاعر إلى ما سيلقي من بيان. فهو على حد قول الإمام الطيبي في أمثاله قرع عصي.

أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً ﴿٦﴾ (سورة النبأ: 6) الدراسة والتحليل من هذه الآية الاستفهامية أن لما كان تساؤل المشركين عن النبأ العظيم، وهو ما جاء به الإسلام من دين خاتم، وكتاب خالد خلود الحياة. لما كان تساؤلهم تساؤل عناد واستهزاء وتهكم، لا للفهم والاعتبار. طفق النظم الحكيم يقرع أسماعهم بما فيه إفحام لهم، وإبطال للغوهم وهذيانهم حول الرسالة والرسول فلفت أنظارهم إلى أن الذي بعث محمدا بالإسلام، وأنزل عليه القرآن هو الله خالق الكون والحياة، وولي النعم كبيرها وصغيرها، ظاهرها وباطنها. وهكذا ينتظم هذا الاستفهام آيات بعد آية الاستفهام ليس لها خالق ولا موجد، ولا مسخر إلا الله تعالى فمم - إذا – يسخر المشركون؟ وهذا الاستفهام (ألم نجعل الأرض مهادا)؟ استفهام تقرير أصالة ويردف عليه من المعاني الثانية الامتنان على العباد.[24]

2. سورة النازعات

وهي مكية، نزلت بعد سورة النبأ، وقبل سورة الانفطار، وترتيب نزولها الحادية والثمانون. وهذه هي الآيات الاستفهامية فى سورة النازعات: يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾، هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾، فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾، أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا ﴿٢٧﴾، يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾.

والدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآيات الاستفهامية البلاغية أن في الآية الثانية حكاية عما صدر عن منكري البعث، وقد اختلفت الحكاية عنهم. وقد قلنا من قبل إن اختلاف الحكاية لمحكى واحد يكون له في النظم الحكيم طريقان: إما أن تكون حكاية معنى لاحكاية لفظ وإما أن يكون المحكي مقولا مرات

[23] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. 335.

[24] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. 337.

في عبارات مختلفات. سوى الإيمان بها، وأنها لا تأتي إلا بغتة، وفي ذلك إيماء إلى أن عدم علم النبي - عليه السلام - بوقت قيام المباعة، ليس دليلا على عدم قيامها. فهي آتية لا ريب فيها.[25]

3. سورة عبس

قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ (سورة عبس: ١٧-١٨) الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآيات الاستفهامية البلاغية أن سورة عبس هي سورة مكية بالاتفاق. نزلت بعد سورة النجم وقبل سورة (القدر) وترتيب نزولها الرابعة والعشرون فهي من السور التي نزلت مبكرة بالنسبة لما نزل من القرآن بمكة قبل الهجرة. ولم يرد فيها الاستفهام إلا مرتين في آيتي الدراسة وهما متجاورتان. الآية الأولى تعني على الإنسان كفره بالنعم، والثانية تلفت الأنظار إلى المادة التي خلق منها الإنسان. والاستفهامان هما: (ما أكفره)؟ (من أي شيء خلقه)؟ وفي الاستفهامين يقول الإمام جار الله الزمخشري رحمه الله: (قتل الإنسان) دعاء عليه، وهي من أشنع دعواتهم (يعنى العرب) لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها، وما أكفره) تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن ما، ولا أدعي سخطا، ولا أبعد شوطا في المذمة مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للأئمة.[26]

4. سورة التكوير

وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ (سورة التكوير: ٢٩) الدراسة والتحليل من هذه السورة التي ورد فيها الآيات الاستفهامية البلاغية أن هذه السورة مكية. وجاءت آية الدراسة اعتراضا بين مجموعتين من الآيات، المجموعة الأولى تنفى عن القرآن أن يكون من عند غير الله والمجموعة الثانية تثبت المهمة الجليلة، التي من أجلها أنزل الله القرآن العظيم. هكذا قوله تعالى: (ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * أين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين ولمن شاء من أن يستقيم* وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين*).[27] والنظر في الآيات يهدي إلى أن هذا الاستفهام مجازى لصدوره عن الله علام الغيوب. لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. أما معناه فهو التعجيز والتجهيل والتبكيت. وفي ذلك يقول الإمام جار الله: (فأين تذهبون) استضلال لهم، كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيان الطريق : (أين تذهب؟)، والإمام الطاهر بن عاشور صرح فيه بالإنكار، والخلاصة أنه استفهام إنكاري، ويردف عليه التجهيل والتعجيز والتبكيت.

[25] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. ٣٣٩.

[26] عبد العظيم المطعنى، التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم ، ص 343

[27] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. 345.

5. سورة الانفطار

سورة الانفطار مكية باتفاق. نزلت بعد سورة النازعات وقبل سورة الانشقاق. وترتيب نزولها الثانية والثمانون على المشهور. وقد ورد فيها ثلاثة استفهامات في ثلاث آيات. ومنهجنا في دراسة استفهاماتها هي ما تقدم في المرسلات والنازعات والآيات هي: يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ . الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآيات الاستفهامية البلاغية هي ينادى رب العالمين عباده بهذا النداء الودود العطوف، يناديهم بعنوان الإنسانية، بما فيها من معاني التهذيب والإلف والحنان: (يا أيها الإنسان) ثم يعاتبه عتابا يسيل رقة وعطفا وتوددة: (ما غرك بربك الكريم). فالسورة - على قصرها واعظة، زاجرة، مبشرة، منذرة. وجرعة، إيمانية فيها شفاء ورحمة للعالمين.[28]

6. سورة المطففين

سورة المطففين مختلف في بيئتها التي نزلت فيها. ففريق ذهب إلى أنها مكية، وآخر قال إنها مدنية، وثالث يرى أنها نزلت بين مكة والمدينة، وهذا الخلاف انسحب على ما نزل قبلها وما نزل بعدها، ونجم عن هذا الخلاف قولان آخران: أحدهما، أنها آخر ما نزل بمكة، والثاني، أنها أول ما نزل بالمدينة. وحسبنا هذا القدر من التعريف بها. وقد ورد فيها أربعة استفهامات في أربع آيات، نذكرها أولا ثم ندرسها على منهج الجداول الذي ستتبعه في قصار السور التي يتعدد فيها الاستفهام أكثر من اثنين وهي: أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾، هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ (سورة المطففين 4، ٨، 19، 36).

فالدراسة والتحليل فيها أن الآية تذم المطففين في الكيل والوزن، وهم كما وصفهم القرآن: (والذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون يعني يستوفون حقهم مع الزيادة إذا أخذوا وينقصون الكيل والوزن إذا أعطوا. يذم القرآن هذا الفريق الغاش الجشع بأنه غافل عن العودة إلى الله. وكأنه لايؤمن بالبعث والحساب والثواب والعقاب وكفى بذلك ذما. أما الآية الثانية فتهول وتفظع من مصير الفجار وقبح مصيرهم في الآخرة وسجل أعمالهم المسمى (سجين)،[29] والآية الثالثة تفخم مصير الأبرار ومأواهم عند الله تعالى بادئة بتسمية سجل أعمالهم (عليون)، أما الآية الرابعة، فتنقل لنا شماتة (الأبرار) وهم في الجنة، في الفجار الذين كانوا يسخرون منهم في الحياة الدنيا ويتخذونهم مادة للتفكه والتضاحك، يتساءل الأبرار المؤمنون هل وجد الكفار ثوابا مثل ثوابنا على ما كانوا يفعلون.

7. سورة الانشقاق

فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ (سورة الانشقاق: 20). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآيات الاستفهامية البلاغية أن هذه سورة الانشقاق هي سورة مكية، باتفاق أهل العلم، نزلت بعد سورة الانفطار، وقبل سورة الروم، وترتيب نزولها الثالثة والثمانون. وهي من السور التي بدأت بالشرط، والشرط فيها متعدد وأفعال الشرط من أهوال يوم القيامة، وجواب الشرط محذوف، وفيها تقسيم الناس قسمين في تلقى صحائف الأعمال وفي المصير. وبعد عرض هذه الحقائق جرى حديث عن مشركي العرب كانت آية الدراسة بداية

[28] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. 347.

[29] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. 349.

لذلك الحديث، وهي عبارة موجزة عن هذا الاستفهام: (فما لهم لا يؤمنون؟) وهو استفهام إنكاري تقريعى. وهذه خلاصة ما يقال فيه.

8. سورة البروج

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ (سورة البروج: ١٧). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآيات الاستفهامية البلاغية أن هذه سورة مكية بلا خلاف، نزلت بعد سورة (والشمس) وقبل سورة (والتين) وترتيب نزولها السابعة والعشرون. وهي من السور الشرطية، والشرط فيها متعدد، وجوابه واحد. واشتملت على قصتين؛ الأولى قصة أصحاب الأخدود وهي المبدوء بها، والثانية قصة فرعون وثمود، وهما قصتان دمج القرآن الإشارة إليهما في آية موضوع الدراسة وهي عبارة عن هذا الاستفهام: (هل أتاك حديث الجنود ؟) وهو استفهام تشويق و إثارة ذهن إلى ما يلقي من الكلام بعده.

9. سورة الطارق

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ (سورة الطارق: 2). الدراسة والتحليل من هذه السورة التي ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية أن هذه السورة مكية نزلت بعد سورة (البلد) وقبل سورة (القمر) وترتيب نزولها السادسة والثلاثون فهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم وهي من السور القسمية والمقسم به فيها نجم ثاقب كما ورد في النظم نفسه. أما المقسم عليه، فهو وكل حافظ على كل نفس. وهذا الاستفهام الذي ورد في الآية الثانية منها قوله تعالى (وما أدراك ما الطارق).

فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ (سورة الطارق: 5). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية هي سلك القرآن الحكيم في غرس الإيمان بالحق في قلوب العباد مسالك شتى، واتخذ من آياته في الكون وفي النفس منافذ للإقناع، ولم يقسر النفوس على الإيمان قسرا. وفي هذه الآية موضوع الدراسة يحث الإنسان على أن ينظر في مبدء خلقه هو نفسه. إنه الماء الذي يتدفق من الأصلاب ليستقر في الأرحام، ثم يكون خلقا سويا. وقد تكفل بهذا هذا الاستفهام: (فلينظر الإنسان مم خلق)؟ وفي الآية التالية بيان لهذا النظر فقال: (خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب)، وهذا الاستفهام استفهام تقرير وتذكير وتنبيه للعظة والاعتبار والتعجيب من كمال قدرة الله وبديع صنعه وحسن تدبيره.

10. سورة الغاشية

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ (سورة الغاشية 1). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية أن سورة الغاشية مكية، باتفاق أهل الذكر، نزلت بعد سورة الذاريات، وقبل سورة الكهف، وترتيبها في النزول السابعة والستون. وهي من السور التي بدأت بالاستفهام، الذي هو أول آية فيها. وهو استفهام تقدم البيان عنه مرات، حيث جاء بهذه الصيغة في آيات متعددة، مع اختلاف المضاف إليه فمرة يكون المضاف إليه (موسى) وأحيانا (الجنود) وهنا الغاشية، وخلاصة ما قيل فيه أنه استفهام تشويق وحث أو قرع عصى.

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ (سورة الغاشية 17). الدراسة والتحليل من هذه السورة التي ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية أن بعد أن قسمت سورة الغاشية الناس يوم القيامة قسمين، وعبرت عن هذا التقسيم بتقسيم الوجوه لا بتقسيم الذوات، هكذا قوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى نار

حامية) ثم قوله تعالى (ووجوه يومئذ ناعمة، لسعيها راضية، في جنة عالية)، والتعبير عن الذوات بالوجوه مجاز مرسل عند البلاغيين. والذي نختاره في هذا التركيب ونظائره أن ألا فيه للحث والحض، وليس للاستفهام الخالص، لأننا إذا طبقنا عليه مذهب الجمهور المتقدم ذكره مرات من قبل وهو كون الهمزة مقدمة من تأخير وأن الأصل: (أفلا ينظرون) وجعلنا الهمزة للاستفهام كانت نافية لنفي ولا فيكون المعنى تقريرا. وهذا لا يصح ؛ لأن القرآن ينعي عليهم عدم النظر الواعظ. لذلك رجح أن (وألا) للحث والتحضيض، وهذا يقتضي أن هذا النظر المحثوث عليه معدوم عندهم فطلبوا بتحصيله. أما على مذهب الزمخشري فلا حرج من حمل الهمزة على الاستفهام لصلاحيته حينئذ في الدلالة على الإنكار والتقدير: أعموا فلا ينظرون. والخلاصة: إذا أعملنا مذهب الجمهور كانت والا للحث والتحضيض وامتنع معه الاستفهام، وإذا أعملنا مذهب الزمخشري فالاستفهام معه للإنكار ثم الحث على النظر.[30]

11. سورة الفجر

سورة الفجر هذه السورة مكية بلا خلاف، نزلت بعد سورة الليل، وقبل سورة الضحى وترتيب نزولها العاشرة، فهي من بواكير ما نزل من القرآن مطلقا. وقد ورد في هذه السورة ثلاثة استفهامات هي: هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾.

فالدراسة والتحليل فى هذه الآيات أن في الآية الأولى قوله تعالى (وهل في ذلك قسم لذي حجر) يقرر الحق عز وجل أن ما أقسم به من الظواهر الكونية قسم عظيم لكل صاحب عقل. وفي الآية الثانية، لفت للأنظار إلى مصارع الأمم الباغية؛ عاد، وثمود، وآل فرعون، وكيف بطش الله بهم، أما في الآية الثالثة ففيها تحذير شديد لمن يضيعون حياتهم الدنيا في المعاصي. فإذا هالهم ما يرون من عذاب يوم القيامة يتذكرون سوء سعيهم، ولا ينفعهم ذلك التذكر.

12. سورة البلد

سورة البلد من القرآن المكي نزلت بعد سورة ق وقبل سورة الطارق وترتيبها الخامسة والثلاثون، فهي من السور المبكرة نزولا. وقد ورد في هذه السورة أربعة استفهامات في أربع آيات وهي: أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾، أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾، أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ (سورة البلد 5، 7، 8، 12).

الدراسة والتحليل فيها ينكر الله عز وجل على صنف من الناس جهلهم بقدرة الله وعظيم سلطانه، فالقوى المستبد بقوته، الذي لا يرى لأحد سلطانا عليه، والغبي الذي يظن أن أعماله تقع بعيدا عن دائرة علم الله، هذا وذاك يخيم عليهما وعلى أمثالهما غباء عظيم. ولو أنهم عادوا إلى أنفسهم لأدركوا أن الله زودهم بوسائل العلم والمعرفة، وأودع فيهم إيداعا محكما بديعا ليعملوا هذه الوسائل في تبصر الحقائق فلا يقعوا فيما وقعوا فيه من ضلال وغباء. وقد نلمح في الآيات ملمحا آخر، هو أن الله العلي القدير الذي وهب الإنسان هذه الملكات كيف لا يحيط علما وهيمنة بما خلق. وفاقد الشيء لا يعطيه.[31]

[30] عبد العظيم المطعني، *التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم*. ص. 358.

[31] عبد العظيم المطعني، *التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم*. ص. 364.

13. سورة الضحى

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴿٦﴾ (سورة الضحى: 6). الدراسة والتحليل من هذه السورة التي ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية أن سورة الضحى مكية بلا خلاف نزلت بعد سورة الفجر، وقبل سورة الانشراح. وترتيبها في النزول الحادية عشرة فهي من بواكير القرآن نزولا. والآية موضوع الدراسة امتنان على رسول الله بالهداية إلى نور النبوة، والكفالة في اليتم، والاغناء بعد الفقر. ولم يرد فيها إلا هذا الاستفهام: (ألم يجدك يتيما فآوى) وهو استفهام تقرير وامتنان وتفضل، وهي خلاصة ما يقال فيه.

14. سورة الانشراح

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ (سورة الانشراح 1). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية أن هي من السور المكية بالاتفاق، نزلت بعد سورة الضحى وقبل سورة «والعصر» وترتيبها النزولي كان الثانية عشرة. وهي من السور التي بدئت بالاستفهام، وهو لم يأت فيها إلا مرة واحدة في الآية الأولى منها (ألم نشرح لك صدرك) وهو استفهام تقرير وامتنان وتبهيج لقلب النبي.

15. سورة التين

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ (سورة التين: 7-8). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية أن هي سورة التين مكية، ترتيبها في النزول الثامنة والعشرون نزلت بعد سورة البروج وقبل سورة قريش. وهما من السور التي بدئت بالقسم، والمقسم به فيها متعدد: نوعان من الأشجار وهما التين والزيتون، وبقعة من الأرض: طور سينين. والمقسم عليه إحسان الله خلق الإنسان شكلا وصورة. وقد ورد الاستفهام فيها مرتين في آيتين متجاورتين هما الأخيرة وما قبل الأخيرة منها قوله تعالى (فما يكذبك بعد بالدين؟ أليس الله بأحكم الحاكمين)؟ واقسام الله عز وجل بقسم من مخلوقاته كثير في القرآن الكريم بل هو الغالب على كل أقسامه، ولهذا سر سنعرض له في مبحث الأسرار والبلاغيات، أما هذان الاستفهامان فقد اتفق الأئمة على أن الاستفهام الأول قوله تعالى (فما يكذبك بعد بالدين) استفهام إنكار، وليس لهذا الرأي بينهم مخالف، أما الثاني هو قوله تعالى أليس الله بأحكم الحاكمين فهو استفهام تقرير وإن ذهب بعضهم في مثله إلى الإنكار فله اعتبار مخالف للقواعد اللغوية والبلاغية، والمقام يأباه، وقد أشرنا إلى هذا الرأي مرات من قبل، ومنها قوله تعالى (أليس الله بكاف عبده).

16. سورة العلق

سورة العلق أو سورة (اقرأ) أول ما نزل من القرآن بمكة المكرمة، وهذا هو المعروف عند أهل العلم وفي كتب السيرة، فهى السورة الأولى نزولا، وإن كانت في هذا الشأن أراء أخرى، حرية بالرد، أما ما نزل بعدها فالإمام الزركشى يذكر أنه سورة (القلم) (١) وأيا كان الأمر فإن سورة (العلق) كانت أول ما نزل به جبريل عليه السلام على خاتم الرسل، وعلى هذا تواترت الأخبار والأحاديث الصحيحة. وقد ورد في هذه السورة أربعة استفهامات في أربع آيات وبين آيات الاستفهام آيات خلت من الاستفهام، ولكنها وثيقة الصلة بمعاني الاستفهام قبلها وبعدها، فآثرنا ذكرها جميعا هنا لتيسير فهم المعنى المراد، والآيات هي: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾، أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾، أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ (سورة العلق: 9، 11، 13، 14).

الدراسة والتحليل فيها يميل بعض المفسرين إلى أن سبب نزول هذه الآيات كان تعرض أبي جهل لمنع النبي من الصلاة، أو منع بلال - رضي الله عنه، وقد استشكل بعض العلماء هذه الرواية بأن سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن، والصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة إلى المدينة بعام واحد؟ وأجيب على هذا الاستشكال بأن الصلاة - هنا - لم تكن هي الصلاة المفروضة، بل صلاة تطوع قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن هذه الآيات التي تحكي هذه الواقعة تأخر نزولها على نزول أول السورة بسنتين أو أقل أو أكثر. وهذه - فيما ترى إجابة سديدة للغاية؛ لأن ورود حكاية النهي عن الصلاة في أول سورة نزلت دليل قاطع على أنها واقعة صحيحة، وأن النبي، أو بلالا، كان يصلي صلاة فعلا قبل فرض الصلاة قبل الهجرة بعام، ودليل آخر، وهو الآية التي جاءت خاتمة للسورة، وفيها يقول الله عز وجل (كلا لا تطعه واسجد واقترب).[32]

17. سورة القدر

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ (سورة القدر: 1-2). فأسرارالنظم وبلاغياته فى هذه الآيات الاستفهامية هي أن قوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) الضمير المنصوب في (أنزلناه) كناية عن القرآن، وقد عبر عنه بالضمير دون أن يتقدم له ذكر في الكلام إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون حاضرة في الذهن والعقل والقلب والمشاعر، لا يحول دون استحضاره فيها حائل؛ لأنه روح القلوب، ونور العقول، والقلوب التي تخلو منه قلوب ميتة والعقول التي يغيب عنها عقول مظلمة، كما يظلم الكون إذا غابت عنه شمسه، فهذا (الإضمار) فيه من الفخامة والعظمة ما فيه، وفي التعبير بنون (العظمة) : (أنزلناه) والمتكلم واحد لا ثاني له في الوجود تفخيم وتعظيم أول الشأن المتحدث عنه، وهو القرآن الحكيم. وإضافة (ليلة) إلى (القدر) تشريف وتكريم ثان، لأن القدر - هنا - هو الشأن الجليل الذي لا يحاط بجلاله وفخامته، وقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) استفهامان في صورة استفهام واحد كما تقدم مرات. الأول: (وما أدراك) وهو استفهام نفي وإنكار، أي : لم يدرك أحد قط بحقيقة ليلة القدر، ولا يملك أحد أن يدريك عنها شيئا إلا الله لفخامة قدرها في علمه هو وحده المحيط بكل شئ، والثاني هو ما ليلة القدر معمول الإدراء أو الإعلام المنفى في الاستفهام الأول، والمراد من هذا الاستفهام هو التفخيم والتعظيم، ثم بين له شيئا من فخامتها بدءا من قوله تعالى: ليلة القدر خير من ألف شهر. إلى آخر السورة[33].

18. سورة الزلزلة

وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ (سورة الزلزلة: 3). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية هي اختلف أهل العلم في بيئة سورة الزلزلة، أهي مكية وهو ما عليه الأكثرون؟ وقيل إنها مدنية، وهذا الاختلاف ترتب عليه اختلاف في ما نزل قبلها، وما نزل بعدها، وفي ترتيب نزولها، وعلى القول بأنها مكية، جعل ترتيبها الرابعة والتسعين. ولها غرض واحد، هو الحديث عن يوم القيامة، وإجمال الإشارة إلى أهواله، وبيان عدل الله – عز وجل. وقد ورد فيها استفهام واحد، هو تكرار لما جاء مناظرة له مما تعرضنا له في هذه الدراسة في مواضع كثيرة، بل وذكرنا ضابطا بلاغيا يحكم هذا الأسلوب الاستفهامي، الذي يقع فيه حرف الجر (اللام) جارا لضمير مفرد أو جمع في صيغ التكلم والخطاب والغيبة، وهو - هنا - قوله تعالى المحكى عما سيقوله الناس حين يقومون من بطون الأرض مذعورين مدهوشين يتساءلون عما حدث للأرض،

[32] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. ٣٧٣.

[33] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم* . ص. 378-377.

أو يكون هذا التساؤل عند الزلزلة الأولى قبل الصعق وإن كان الأول، أي عند الخروج من القبور هو الذي يتبادر من المقام، وقال الإنسان ما لها؟ وقد ورد هذا الاستفهام بعد قوله تعالى في أول السورة (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها) فقول الإنسان بعد هذين الحدثين: الزلزلة، والإخراج (ما لها) ناشئ من غرابة الزلزلة والإخراج، فإن المراد من الإخراج إحياء الموتى، كان قول الإنسان هذا بعد البعث وإن كان الإخراج الأثقال أخرى قبل الصعق كان قول الإنسان (ما لها) آخر ما يقال في الحياة الدنيا. والاستفهام في (ما لها) للإنكار والتعجب، وإن كان التعجب ناشئا عن الإنكار فإنه هو المتبادر إلى الذهن هنا.[34]

19. سورة القارعة

هذه السورة لا خلاف في أنها نزلت بمكة، قبل الهجرة. فهي سورة مكية. نزلت بعد سورة قريش وقبل سورة القيامة. وترتيب نزولها هو الثلاثون، فهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم. وهي مثل سورة الحاقة في مطلعها. وليس بين الآيات الثلاث في السورتين فرق إلا كلمة (الحاقة) في الحاقة (القارعة في القارعة، والكلمتان صفة لموصوف واحد. وقد ورد الاستفهام فيها ثلاث مرات في ثلاث آيات هي: مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ (سورة القارعة: ٢، ٣، ١٠).

الدراسة والتحليل فيها أن هذه السورة كلها مثل سورة الزلزلة لها موضوع واحد هو الحديث عن يوم القيامة. مع ذكر بعض أهواله ثم تقسيم الناس قسمين: قسم كثرت حسناته وقلت سيئاته أو انعدمت. وهؤلاء لهم عيشة راضية. وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، وقسم قلت حسناتهم أو انعدمت، وهؤلاء ليس لهم من مصير إلا نار جهنم يهوون فيها وهم فيها خالدون، وقد مهد النظم لهذا التقسيم بالتهويل الذي بدأت به السورة ثم جمع الناس لذلك اليوم وتذرية الجبال وزوالها.

20. سورة الهمزة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ (سورة الهمزة: 5). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية هي أن سورة الهمزة وتسمى سورة (الحطمة) سورة مكية باتفاق أهل العلم. نزلت بعد سورة القيامة، وقبل سورة المرسلات. وترتيب نزولها الثانية والثلاثون، فهي من أوائل مانزل من القرآن. والسورة - في عمومها - قسمان: القسم الأول هو يبدأ بإعلان الهلاك للهمزة المزة وبيان حرصهم على المال واغترارهم به. وذلك في الآيات الآتية: (سورة الهمزة 1-3). والهمزة واللمزة على وزن (فعله؟) هو كثير الهمز واللمز، أي سب الناس والسخرية منهم، وبناؤهما على وزن (فعله) للمبالغة في كثرة الهمز واللمز منهم. أما القسم الثاني ففيه إبطال لاغترارهم بالمال، وأنه لن يدفع عنهم عذاب الله الذي سيلحقهم في النار التي ستحطم عظامهم وتطحنهم، وتفري قلوبهم التي كانت في الدنيا بؤرة فساد وأحقاد. وذلك ما جاء في الآيات الآتية (سورة الهمزة 4-9) وقد جاءت آية الاستفهام ليفيد تهويل الحطمة، التي سينبذ فيها أولئك الهمزة اللمزة تاركين أموالهم - التي عبدوها - وراء ظهورهم.

21. سورة الفيل

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ (سورة الفيل: 1-2). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية هي أن هذه السورة مكية بإجماع أهل العلم،

[34] عبد العظيم المطعنى، *التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم*. ص. 379.

نزلت-على المشهور-بعد سورة (قل يا أيها الكافرون). وقيل سورة (قل أعوذ برب الفلق) وترتيب نزولها التاسعة عشرة. فهي من بواكير سور القرآن نزولا والسورة في مجملها توطيد لأقدام النبي صلى الله عليه وسلم في مجال الدعوة، وتبشير له بالنصر والتأييد، فالله الذي دفع عن بيته المحرم كيد أصحاب الفيل، وأهلك أعداء الحق قبل مبعث رسول الإسلام، قادر على سحق أعداء الحق في ظل الرسالة الجديدة التي كرم الله بها رسوله الكريم. وبقدر ما تحمل هذه السورة من بشرى تحمل نذارة ووعيدا لخصوم الدعوة ومناهضيها من كفار قريش الذين يعرفون ما حدث لأصحاب الفيل؛ لأن هذه الواقعة، لم يمر عليها نصف قرن من الزمان يوم نزلت هذه السورة. وهي من السور التي بدأت بالاستفهام، وقد تكرر فيها مرتين في آيتين متتابعتين قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك)؟ ألم يجعل كيدهم في تضليل)؟ وهذا الاستفهام صورتيه استفهام تقرير، أي قد: رأيت. وقد جعل. وفيه يقول الإمام جار الله الزمخشري : والمعنى أنك رأيت آثار فعل الله بالحبشة، وسمعت الأخبار به متواترة، فقامت لك - يعني الأخبار المتواترة - مقام المشاهدة كلام الإمام - هنا - مقصور على الاستفهام الأول (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) والاستفهام الثاني مثل الأول في إفادة التقرير، وإن اختلف معناه عنه، فالأول تقرير بالرؤيا. والثاني تقرير بالجعل كما لا يخفى، وذهب الإمام الطاهر بن عاشور هذا المذهب، من حمل هذا الاستفهام على التقرير، خلافا لعادته في حمل بعض نظائره على الإنكار كما تقدم في هذه الدراسة. والخلاصة: أن الاستفهام الأول للتقرير، ويردف على التقرير فيه التشويق والبشري بالنصر والتأييد والتعجيب ثم التعريض بكفار مكة، وتهديدهم، والاستفهام الثاني للتقرير مثل الأول، ويردف عليه ماردف على الأول من المعانى الثانية مع إيعاد خصوم الدعوة بالهلاك إذا لم يثوبوا إلى رشدهم.

22. سورة الماعون

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ (سورة الماعون: 1-2). الدراسة والتحليل من هذه السورة التى ورد فيها الآية الاستفهامية البلاغية هي هذا آخر استفهام يرد في القرآن العظيم، وكان أول استفهام ورد في سورة البقرة: سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون). الاستفهام الأول كان حديثا عن الذين كفروا، لقوله تعالى قبله (إن الذين كفروا) وهذا الاستفهام - وهو آخر استفهام في القرآن حسب ترتيب المصحف، هو كذلك حديث عن الذين كفروا؛ لأنهم هم الذي يكذب بالدين وكذلك كان أول استفهام يرد في القرآن حسب ترتيب نزول السور، كان حديثا عن الذين كفروا: قوله تعالى في سورة العلق ٩-١٩.

الخلاصة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعون الله وتوفيقه أكملت هذه الرسالة بعنوان: أسلوب الاستفهام فى القرآن الكريم فى الجزء التاسع والعشرين والثلاثين، ولا أدعي أنني جئت بمالم يذكر من قبل إلا أنني حاولت أن أقف على أسلوب الاستفهام وبلاغيته فى القرآن الكريم فى الجزء التاسع والعشرين والثلاثين، وبالإضافة إلى تحديد الآيات التي ورد فيها أسلوب الاستفهام فيهما، أغراضه وتحليله وتبيين مقصد الاستفهام من الناحية البلاغية، ولا تعد هذه الرسالة خاتمة الدراسات حول هذا الموضوع. ومن أهم النتائج التى توصلت إليها: 1) إن سور القرآن الكريم ومن بينها السور فى الجزء التاسع والعشرين والثلاثين ميدان خصب الدراسات البلاغية. 2) يعد أسلوب الاستفهام من الأساليب التى اعتمد عليها النص القرآن يظهر ذلك خلال المعاني الأسرار الكامنة فيها. 3) ورد أسلوب الاستفهام في الكثير من النصوص الأدبية وغيرها وكان الغرض منه طلب الفهم واردة العلم عن شيء. 4) يمتاز أسلوب استفهام بجمالية يضيفها على النصوص، فهو يكشف عن خبايا النفس عن طريق الكلام. 5) يعد من أروع الأساليب التي تدفع المتكلم والقارئ إلى التعمق والإكثار من طرح التساؤلات والاستفسارات.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

ابن منظور، عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن ابن أحمد الأنصاري. *لسان العرب*، ج. 5؛ القاهرة: دار المعارف، د.س.

أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقايس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دارالجيل ج5، 1420 -1999

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب. معجم *مفردات ألفاظ القرآن*، بيروت: دار الفكر، د. س.

آل نصر، سليم بن عبد الهيلالي ومحمد بن موسى، الاستعاب فى بيان الأسباب، م3 دار ابن الجوزية 1425

البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور

التفتازانى، سعد الدين. *مختصر المعانى*. دار الفكر 1441ه.

الخطابى. ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن. مصر: دار المعارف، 1440ه

الزحيلي، وهبة. *التفسير المنير*. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1411 ه / 1991 م.

الزركشى. *البرهان فى علوم القرآن*. دار الكتب العلمية، بيروت 1433ه.

زكريا، أبوالحسين أحمد بن فارس. معجم *مقايس اللغة*، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دارالجيل، ط2، 1420 -1999.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. *أساس البلاغة بين المعاجم*، بيروت: دار المعرفة، د. س. 1419ه-1998م

الشافعى، جلال الدين أبى الفضل عبد الرحمن السيوطي، علم المناسبات فى السور والآيات، المكتبة المكية ط1، 1433ه-2002م

العك، عبد الرحمن، تسهيل الوصول إلى معرف أسباب النزول، دار المعرفة بيروت- لبنان ط1، 1419ه-1998م

علوان، محمد شعبان علوان، نعمات شعبان. *من بلاغة القرآن*. الدار العربية، ط2، 1998م.

العمودي، ابتسام عمر، المختارات من المناسبات بين السور والآيات، ط1 الرياض 1436ه-2015

الغلاييني، مصطفى. *جامع الدروس العربية*. بيروت: شركة ابناء شريف الأنصاري، 1415 ه- 1994 م.

الفراهيدي، خليل بن أحمد. *كتاب العين مرتبا على حروف المعجم*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1434 ه- 2003 م.

فيود، بيسونى عبد الفتاح، علم المعانى، مؤسسة المختار-القاهرة ط4، 1436ه-1998م

القرطبى، محمد بن أحمد بن أتى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى، أبوعبد الله، *الجامع لأحكام القرآن*. مؤسسة الرسالة، 1427ه-2006م.

القريميالكفوى، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينى. *الكليات*. تحقيق د.عدنان درويش ومحمد المصرى، ط2، مؤسسة الرسالة دمشق 1432-2011.

القزوينى، الخطيب. *الإيضاح فى علوم البلاغة*. بيروت: دار الكتبا لعلمية، 1424ه/2003م.

لاشين، عبدالفتاح، المعاني فى ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي جامعة الأزهار القاهرة 1420ه-2000 م

لجنة الإخراج، *المعجم الوسيط*. القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1392 ه- 1992 م.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهم: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار. دار الدعوة، 14 نوفمبير 2010.

محمود قجال، الحديث النبوي في النحو العربي، الرياض: أضواء السلف، ط3 1417ه-1997م
مخلوف، سين محمد. *كلمات القرآن*. دار احياء التراث العربي.
المزينى، خالد سليمان، المحرر فى أسباب نزول القرآن، ج1 دار ابن الجوزية 1427ه
المطعنى، عبد العظيم، التفسير البلاغي للاستفهام فى القرآن الحكيم، ط3،
مكتبة وهبة القاهرة 1432ه-2011م
الميدانى، عبد الرحمن حسن جبنكة. *البلاغة العربية علومهاأسسها وفنونها*. دار القلم دمشق-دار الشامية بيروت، 1416ه-1996م.
الهاشمى، السيد أحمد. *جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع*. بيروت: المكتبة العصرية، 1999.
يوسف، عبد الكريم محمود. *أسلوب الاستفهام فى القرآن الكريم غرضه وإعرابه*. طبع فى مطبعة الشام توزيع مكتبة الغزالى، ط1، 1421ه-2000م.